



مركز البيان للدراسات والتخطيط  
Al-Bayan Center for Planning and Studies

# الحرب الروسية الأوكرانية ... إلى أين؟

أحمد مطر



سلسلة إصدارات مركز البيان للدراسات والتخطيط

## عن المركز

مركزُ البيان للدراسات والتخطيط مركزٌ مستقلٌّ، غيرُ ربحيٍّ، مقرُّه الرئيس في بغداد، مهمته الرئيسة -فضلاً عن قضايا أخرى- تقديم وجهة نظر ذات مصداقية حول قضايا السياسات العامة والخارجية التي تخصّ العراق بنحو خاصٍّ، ومنطقة الشرق الأوسط بنحو عام. ويسعى المركز إلى إجراء تحليلٍ مستقلٍّ، وإيجاد حلولٍ عمليّةٍ جليّةٍ لقضايا معقدةٍ تمُّ الحقلين السياسي والأكاديمي.

### ملحوظة:

لا تعبّر الآراء الواردة في المقال بالضرورة عن اتجاهات يتبناها المركز، وإنما تعبّر عن رأي كاتبها.

حقوق النشر محفوظة © 2023

[www.bayancenter.org](http://www.bayancenter.org)

[info@bayancenter.org](mailto:info@bayancenter.org)

Since 2014

## الحرب الروسية الأوكرانية ... إلى أين؟

أحمد مطر\*

### مقدمة

دخلت الحرب الروسية الأوكرانية عامها الثاني في 24/2/2023، والوضع الميداني في حالة جمود، وترقب، وانتظار مآلات الحرب التي استنزفت كلاً من روسيا والغرب، فضلاً عن الدمار الذي لحق بأوكرانيا ووحدة أراضيها، وتشرد ملايين من سكانها في أرجاء أوروبا، التي تضرر اقتصادها؛ بفعل التوقف عن شراء الغاز الروسي بفعل العقوبات التي فرضها الغرب على روسيا، والتوجه نحو مصادر بديلة للغاز الروسي، وبكلف عالية أثقلت كاهل الاقتصاد الأوروبي.

من جهتها الولايات المتحدة التي وإن عُدَّت من أكثر المساهمين بالحرب التي تخوضها أوكرانيا بالنيابة عن واشنطن والغرب عموماً، في مواجهة روسيا التي يمكن القول إنَّ أداءها الاقتصادي - وإنَّ أرهاقها الحرب بفعل العقوبات - فاق توقعات الغرب والولايات المتحدة بصورة خاصة، والتي راهنت على انهيار اقتصادها الذي يقوم على صادرات الطاقة والغاز الطبيعي بصورة خاصة إلى أوروبا. ومع ذلك فإنَّ مهارة صانع القرار الروسي في اللعب على التناقضات الدولية استطاع عن طريقها إيجاد أسواق بديلة عن أوروبا كإندونيسيا والصين، وجنوب إفريقيا، ممَّا منحها القدرة على المطالبة في الحرب.

سنحاول في هذه الورقة الإجابة عن التساؤل الرئيس الذي يشغل بال صناع القرار فضلاً عن مراكز التفكير وأكاديميات العلاقات الدولية حول العالم (لخطورة الوضع الدولي الراهن)، وهو كيف ستنتهي الحرب الأوكرانية؟ وللإجابة عن هذا التساؤل لا بدَّ من الإجابة عن تساؤل آخر سيسكِّل مدخلاً لاستشراف الكيفية التي ستنتهي بها الحرب، وهو لماذا اندلعت الحرب الأوكرانية؟

### أولاً: لماذا اندلعت الحرب؟

يتطلَّب البحث في الأسباب أو المقدمات التي قادت إلى اندلاع الحرب الأوكرانية في شباط من العام 2022 الرجوع إلى الوراثة قليلاً وتحديدًا إلى العام 2014، إذ شكَّلت أحداث شباط عام 2014 منعطفًا خطيرًا للأمن القومي الروسي، ممَّا أدَّت تطوراتها إلى اندلاع الحرب في العام الماضي. ومن ثمَّ يقتضي البحث عن الأسباب التي أدَّت إلى اندلاع الحرب تحليل أهمية أحداث شباط 2014.

\* باحث في العلاقات الدولية.

## منعطف شباط 2014

كانت الإطاحة بالرئيس الأوكراني (فيكتور يانوكوفيتش) في شباط 2014 على يدي حركة احتجاجات واسعة، رأت فيها موسكو أنَّها كانت مدبَّرة من قبل الولايات المتحدة والغرب؛ تمهيداً لإقامة نظام سياسي في أوكرانيا يقوم بمهمة إخراج كييف من دائرة النفوذ الروسي، والسير بالبلاد إلى أحضان الناتو والاتحاد الأوروبي.

خلف (يانوكوفيتش) الرئيس (بترو بوروشينكو) الذي فاز بالانتخابات المبكرة التي أقيمت في 25/5/2014. وقضى (بوروشينكو) فترته الرئاسية في التعامل مع واقع جديد في أوكرانيا مفاده سيطرة روسيا على شبه جزيرة القرم الإستراتيجية بعد غزوها في العام نفسه (أي: 2014) من جهة، وسيطرة الانفصاليين (ومعظمهم مواطنون روسيو الأصل) الذين بدأوا حركة احتجاجات مدعومة من موسكو في آذار 2014 في مقاطعة دونباس المكونة من مدينتي (دونيتسك، ولوهانسك) وإعلانها جمهوريتان مستقلتان.

واستمر هذا الأمر الواقع منذ شباط 2015 بتوقيع أطراف الصراع على اتفاقية منسك؛ تتويجاً لعملية السلام التي رعتها منسك في أيلول 2014، استمر هذا الواقع حتى مجيء الرئيس (فلوديمير زيلينسكي) عام 2019، الذي اتخذ عدداً من القرارات التي وضعت البلاد على الطريق للانضمام للناتو، أهمها إقرار تعديل دستوري عام 2019 يدعم هذا التوجُّه، وفي أيلول 2020، وافق الرئيس (فلوديمير زيلينسكي) على إستراتيجية الأمن القومي الجديدة لأوكرانيا، والتي تنص على تطوير شراكة مميزة مع الناتو بهدف العضوية في الناتو، ممَّا تعدُّه روسيا تهديداً للأمن القومي، وخطاً أحمر لا يقبل التفاوض، وهنا أخطأ الغرب حينما ظن أنَّ أوكرانيا بالنسبة لروسيا مسألة نفوذ لا أمن قومي، وثمة فارق كبير بين الاثنين.

لم تلق هذه الإجراءات الأوكرانية أي ردة فعل من إدارة الرئيس ترامب الذي لم يكن مهتماً بالناتو، واستخدم أوكرانيا كورقة في صراعه ضد الديمقراطيين، وضد بايدن تحديداً. لذا لم تشكل إجراءات الحكومة الأوكرانية وتوجهاتها حيال الاقتراب من عضوية الناتو أي تهديد يذكر إلا بعد مجيء إدارة بايدن الديمقراطية المعروفة بتوجهاتها تجاه روسيا، واستخدامها للناتو كأداة لتطويق روسيا.

## التصعيد الروسي وقرار الحرب

أدرك صانع القرار الروسي أنّ مجيء إدارة بايدن سيثير أزمة مع موسكو تتعلق بدعم توجهات أوكرانيا وتوظيفها للانضمام إلى الناتو، ممّا سيجعل من قوات الناتو ومنظومات الأسلحة الأمريكية على حدود روسيا. لذا بدأت روسيا منذ أيلول 2021 بحشد قوات عسكرية هائلة العدد والتسليح على الحدود الروسية الأوكرانية. لذا يمكن القول إنّ الرئيس الروسي اتخذ قرار غزو أوكرانيا لحظة وصول جوزيف بايدن إلى البيت الأبيض عام 2020.

وعند قراءة الموقف الروسي منذ بدأ الأزمة في أيلول 2021 وتحليله نجد أنّه -ومنذ اللحظة الأولى- كان يهدف إلى إغلاق كل السبل أمام أي تسوية دبلوماسية؛ ليبقى خيار الحرب هو الخيار الوحيد، كيف؟ ولماذا؟ أمّا كيف، فمع أنّ مطالبة بوتين بضمانات مكتوبة بعدم ضم أوكرانيا للناتو معقولة، إلا أنّ المطالبة بمراجعة ترتيبات الأمن الأوروبي والعودة بها إلى ما قبل عام 1997، ومن ثمّ تصفية وجود الناتو في أوروبا الشرقية كانت غير واقعية بالمرّة، ومؤشراً على عزم الرئيس بوتين على فرض واقع جديد في أوروبا، واقع ينتهي إلى فرض الهيمنة الروسية على أوكرانيا.

أمّا لماذا إصرار بوتين على قرار الحرب؟ تساؤل يفرض علينا الإجابة عن تساؤل آخر مفاده، لماذا أوكرانيا؟ تشكّل أوكرانيا البوابة التي عبرتها جيوش الغزاة في طريقهم إلى موسكو منذ نابليون 1812 وهتلر عام 1942، كما بيّنت الحرب في أوكرانيا أهمية الأخيرة لأسواق الغذاء العالمية، فضلاً عن امتلاكها لبني تحتية نووية يجعل منها قابلة للتحويل إلى دولة نووية على حدود روسيا.

لذا، وجد صانع القرار الروسي أنّ انضمام أوكرانيا إلى الناتو يشكّل خطراً على أمن روسيا القومي، يتمثّل -فضلاً عن كلّ ما سبق- باقتراب الناتو من حدودها القومية، ووحدة أراضيها، إذ سيصعب على روسيا الوصول والسيطرة على منطقة القوقاز وخصوصاً الجمهوريات المسلمة في الاتحاد الروسي، واحتمال أن تنشط جبهة الشيشان مرة أخرى؛ بدعم من قواعد الناتو، وهو ما يندر بانفصال هذه الجمهوريات، وعودة روسيا إلى حدودها في العصور الوسطى، وتقليص عمقها الإستراتيجي؛ لذا جاء التصعيد الروسي متناسباً مع حجم المخاطر التي كانت ستترتب على انضمام أوكرانيا إلى الناتو.

## ثانياً: سيناريوهات النهاية

في ظل ما تقدّم، وعن طريق متابعة تطورات الحرب وما رافقها من مواقف أمريكية وأوروبية وإصرار روسي، يمكن القول إنّ الحرب ستنتهي بأحد السيناريوهات الثلاث:

### السيناريو الأول:

استمرار الاتجاه الراهن أو سيناريو حرب الاستنزاف وهو السيناريو الذي تعمل عليه الولايات المتحدة وتراهن انهيار الاقتصاد الروسي الذي وفّق التقديرات الأمريكية لا يتوفر على الأسس الاقتصادية التي يتطلبها استمرار هذا السيناريو لأكثر من عام أو عامين آخرين، لا سيّما أنّ الولايات المتحدة (ومعها أوروبا بضغط أمريكي) تقوم بدعم أوكرانيا بالأسلحة والمال؛ لدعم ما يصفه بايدن «بالصمود البطولي للشعب الأوكراني».

تأمل الولايات المتحدة - من استمرار الحرب بهذه الصورة من دون تحقيق أي نصر ملموس، أو من دون أمل بقرب وقف الحرب - أن يضعف موقف الرئيس الروسي فلاديمير بوتين، ومن ثمّ تزداد احتمالات الإطاحة به بانقلاب يقوم به مجموعة من القادة العسكريين الساخطين على إدارة بوتين للحرب التي قد تنذر باختيار اقتصاد البلد، أو الحرب النووية.

هذا السيناريو مستبعد للأسباب الآتية:

- إنّ الدعم الغربي لأوكرانيا لن يكون مفتوحاً، لا سيّما في ظل الضغوط الاقتصادية التي تعاني منها بلدان أوروبا التي بدأت الأصوات تتعالى في عواصم عديدة في القارة العجوز، تشكّك في جدوى الحرب التي يمونها دافعوا الضرائب الأوروبيين.

- لن يستمر الدعم الأمريكي في ظل سيطرة الجمهوريين على مجلس النواب، واحتمال فوز الجمهوريين في انتخابات الرئاسة، وهو الأمر الذي عبّر عنه الجمهوريون صراحة بأننا «لن نكتب لأوكرانيا صكاً على بياض».

- أعدت روسيا - من جهتها - العدة لهكذا مواجهة منذ استيلائها على القرم عام 2014، ووضعت خططاً اقتصادية لهكذا سيناريو، كما أنّ الرئيس الروسي بوتين أبدى مرونة في المناورة خارجياً وداخلياً بما دعم مركزه وعن طريق مركز بلاده في الداخل والخارج.

## السيناريو الثاني:

التصعيد، يقوم هذا السيناريو على حقيقة أنّ الدعم الأمريكي والغربي لأوكرانيا بالدبابات والمضادات الطائرات، والبحث في إمكانية تزويد كييف بطائرات (أف 15)؛ لدفع أوكرانيا باتجاه استعادة شرق أوكرانيا، بل حتى شبه جزيرة القرم، ومن ثمّ جر روسيا إلى مواجهة احتمال خسارة شرق أوكرانيا وشبه جزيرة القرم، لا سيّما أنّ الولايات المتحدة تقوم بتدريب الجنود الأوكران مع عدم استبعاد مشاركة جنود أمريكيون في الحرب، ممّا يبرّجه الانتكاسات التي تعرضت لها روسيا في الحرب، وتراجعها بفعل الأسلحة الأمريكية الحديثة التي يستبعد أن يتقنها الجنود الأوكرانيون في هذه المدّة القياسية.

## احتمالات صمود هذا السيناريو ضعيفة أمام الحقائق الآتية:

- إنّ احتمال خسارة روسيا لشرق أوكرانيا وشبه جزيرة القرم يعني انتحاراً سياسياً للرئيس الروسي بوتن، لا سيّما بعد أن ضم هذه المناطق إلى روسيا الاتحادية بمرسوم جمهوري، ممّا لن يسمح به الأخير، وهو ما يتضح عن طريق تحذيراته المتكرّرة بأنّ روسيا لن تتهاون في الحفاظ على الأمن القومي الروسي، حتى لو تطلّب الأمر استخدام السلاح النووي، وهو سيناريو يشكّل كابوساً للأوروبيين، ومن ثمّ سنرى مبادرات ودعوات أوروبية للتفاوض مع موسكو؛ لإيقاف الحرب، وللحيلولة دون الانزلاق إلى سيناريو التصعيد، على غرار الدعوة التي أطلقها الرئيس الفرنسي (إيمانويل ماكرون) في 17/2/2023؛ لفتح باب الحوار مع موسكو لإنهاء الحرب.

- معارضة الأوروبيين لتزويد أوكرانيا بأسلحة هجومية خشية من التصعيد إلى المواجهة النووية، وحصص تزويد أوكرانيا بالسلاح الذي يدعم قدرات أوكرانيا الدفاعية والحيلولة دون وقوعها بالكامل في قبضة موسكو.

- توجد معارضة في صفوف الحزب الجمهوري للمضي بسيناريو التصعيد؛ خشية الانزلاق إلى حرب نووية غير مسبوقة، لا سيّما في ظل دخول الصواريخ فرط صوتية في المعادلة وتغييرها لقواعد الاشتباك التي كانت سائدة طيلة عقود إبّان الحرب الباردة.

## السيناريو الثالث:

**سيناريو الأمر الواقع:** يقوم هذا السيناريو على حقيقة أنّ المكاسب التي حققتها روسيا ستشكّل الرصيد الشخصي للرئيس الروسي فلاديمير بوتين في تدعيم موقفه الداخلي في مواجهة أي محاولات؛ لتقويض مركزه داخلياً من قبل المحيطين به، أو عبر حركات شعبية - وإن كان مستبعد حدوثها-؛ احتجاجاً على تداعيات الحرب اقتصادياً على الداخل الروسي. كما يدعم هذا السيناريو حقيقة أخرى مهمة، وهي أنّ الرئيس الروسي هدّد مراراً بالخيار النووي؛ لتدعيم المكاسب التي حققتها موسكو في الحرب متمثلة في الأراضي (شرق أوكرانيا) التي ضمتها روسيا بعد غزوها لأوكرانيا في 24 شباط من العام 2022.

يدرك الغرب وأوروبا تحديداً أنّ لا أمل لأوكرانيا بالانتصار على موسكو، واستعادة الأراضي التي ضمتها موسكو من دون المخاطرة بحرب نووية سيضطر إلى الضغط على كييف؛ للوصول إلى اتفاق أو صيغة شبيهة باتفاقية منسك، ممّا لن تعارضه موسكو، بل قد تذهب موسكو أبعد من ذلك بأن تعرّض إعادة الأراضي شرق أوكرانيا إلى كييف شرط أن تقوم الحكومة الأوكرانية والنااتو معاً بتقديم ضمانات مكتوبة بعدم ضم أوكرانيا إلى النااتو، وبذلك تكون موسكو قد حقّقت أهدافها من الحرب وهي الحصول على ضمانات مكتوبة بعدم ضم أوكرانيا إلى النااتو، ممّا ترى فيه موسكو تهديداً لأمنها القومي.

سيكون تجنّب الحرب النووية -التي ما تزال تشكل احتمالاً وارداً في ظل الدعم الغربي لأوكرانيا بالأسلحة والذخائر وكل ما من شأنه أن يحول مسار الحرب في غير صالح موسكو- لأوروبا والغرب مهم جداً؛ لأنّه سينذر بدفع صانع القرار الروسي إلى احتمال استخدام ضربات نووية تكتيكية ستكون لها تداعيات على أمن أوروبا واستقرارها، وهو سيناريو تعي أوروبا خطورته، وتحاول أكثر من عاصمة أوروبية تفاديه عبر إثارة كثير من التساؤلات والاعتراضات على دعم كييف بالأسلحة المتطورة التي قد تجر موسكو على التفكير بالخيار النووي، أو بصيغة مبادرات سياسية؛ للدفع بكلّ من موسكو وكييف إلى الجلوس إلى طاولة المفاوضات.

- هذا السيناريو هو الأقرب إلى الحدوث، وأن سيتأخر إلى ما بعد الانتخابات الأمريكية واحتمالات فوز مرشح جمهوري يدفع كييف إلى الحوار مع موسكو؛ للتوصّل إلى حل وسط يجتّب أوروبا والعالم أخطار حرب نووية أصبحت احتمالات حدوثها الأقوى منذ أزمة الصواريخ الكوبية



عام 1962. وحتى في حال فوز الرئيس بايدن بولاية ثانية، فإنَّ الأصوات التي بدأت تتعالى داخل أروقة الحزب الديمقراطي بضرورة التوصلِ الحوار مع موسكو، وعدم المغامرة بحرب نووية، فضلاً عن التضخُّم الذي يعاني منه الاقتصاد الأمريكي سيضع حداً للمساعدات التي تقدمها الولايات المتحدة لأوكرانيا، وهو ما سيدفع كييف إلى الجلوس إلى طاولة المفاوضات والبحث؛ بشأن الحل الذي يبدو أكثر واقعية: تقوم الحكومة الأوكرانية والنااتو بتقديم ضمانات مكتوبة إلى موسكو بعدم ضم أوكرانيا إلى النااتو مقابل إعادة الأراضي التي ضمتها موسكو إلى كييف. على أن أيَّ تسوية محتملة للحرب من المستبعد أن تشمل شبه جزيرة القرم.

- يعتمد هذا السيناريو في حدوثه اعتماداً كبيراً على الأوروبيين الذين سيضغطون على واشنطن؛ لإيقاف الحرب وعدم دعم أوكرانيا بالأسلحة والذخائر التي من شأنها تصعيد الحرب ودفعها باتجاه السيناريو النووي، ومن ثمَّ هذا السيناريو قد يترتب عليه حدوث تباعد بين واشنطن وبروكسل، ومن احتمالاته بعيدة المدى البحث في دمج موسكو في البنية الأمنية الأوروبية وخصوصاً أنَّ موسكو قد دعت قبل الحرب إلى البحث في منظومة أمن أوروبية متكاملة تكون موسكو جزءاً منها.

## الخاتمة

اندلعت الحرب الروسية الأوكرانية؛ بسبب خشية صانع القرار الروسي من سعي الولايات المتحدة ضم أوكرانيا للنااتو، ممَّا ترى فيه موسكو استمراراً لمحاولات تطويقها، واستمراراً لعقلية الحرب الباردة. لذا قامت موسكو بغزو أوكرانيا، وقامت بضم شرق أوكرانيا في محاولة لفرض أمر واقع مفاده زيادة العمق الإستراتيجي لروسيا والتمدد باتجاه أوروبا مع التهديد بالخيار النووي.

وفي مواجهة ذلك تقوم الولايات المتحدة بإمداد أوكرانيا بالأسلحة والذخائر، وكل من شأنه إدامة الحرب أملاً في استنزاف موسكو، وتقويض مركز الرئيس الروسي بوتن أملاً في تبلور مراكز قوة منافسة لبوتين داخل الكرملن. وصلت الحرب إلى ما يمكن وصفه بالجمود الإستراتيجي الذي ستقوم أوروبا بكسره عبر الضغط على واشنطن؛ لخفض التصعيد والضغط على كييف للحوار مع موسكو، خوفاً من الانزلاق إلى حرب نووية ستكون أوروبا ميداناً لها.

## الاستنتاجات:

1. أصبحت الحرب الأوكرانية حرباً بالوكالة بين الولايات المتحدة وروسيا.
2. التصعيد ومحاولات استعادة شرق أوكرانيا أو شبه جزيرة القرم سيكون مغامرة بالدخول في حرب نووية؛ لأنّ ذلك سيعني نهاية المستقبل السياسي للرئيس الروسي فلاديمير بوتين، وهو أمر لن يتهاون الأخير حياله.
3. إدراكاً من أوروبا لخطورة التصعيد ومآلاته قد نرى مبادرة أوروبية؛ للضغط على الأوكرانيين للحوار مع موسكو والبحث عن سبل إنهاء الحرب.
4. ما زال هدف موسكو هو الحصول على ضمانات مكتوبة بعدم ضم أوكرانيا إلى الناتو، ومن ثمّ قد يكون هذا المطلب محور أي مبادرة أوروبية أو دولية للبحث في سبل إنهاء الحرب.
5. سيترب على هذا السيناريو على المدى البعيد حدوث انفصال في الأمن الأطلسي، وسيكون مستقبل الناتو محل تساؤل، في الوقت نفسه قد نشهد حواراً أوروبياً روسياً؛ لبلورة بناء أمني أوروبي تكون روسيا جزءاً أساسياً فيه، في حين تتجه واشنطن نحو الهندو باسفيك، والتركيز على احتواء الصين، ممّا بدأنا نشهد ملامحه عن طريق انخراط واشنطن بدبلوماسية تحالفات نشطة في إقليم الهندو باسفيك.

## المصادر:

1. أحمد مطر: مستقبل الناتو في ظل الخلافات الأمريكية الأوروبية بعد الحرب الباردة، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النهدين 2011.
2. أحمد مطر: التحول في الإستراتيجية الدفاعية لليابان.. التوقيت والدلالات والتداعيات، مركز البيان ، بغداد 31 كانون الثاني 2023.
3. جون جي ميرشايمر: لماذا يتحمل الغرب مسؤولية الأزمة في أوكرانيا؟ الأوهام الليبرالية التي استفزت بوتين، ترجمة أحمد مطر، مجلة حمورابي، العدد 11، تشرين الثاني 2014.
- 4-Mearsheimer, J. (2020), Why the West is Principally responsible for the Ukrainian crisis, The Economist, March 19.
- 5-Wilson, P. A. (2023), How the War in Ukraine could end sooner Than Expected, RAND Corporation, January 17.
- 6-Bruusgaard, K.V. (2023) How Russia Decides to Go to Nuclear, Foreign Affairs, February,6.
- 7-Harris, S, Deyoung,K,& Khurshudyan, I. (2022), The Post examined the lead-up to the Ukraine war. Here's what we learned, August 16.